



29 رجب 1435 هـ ـ 28 / 05 / 2014 م

www.ommaty1401.blogspot.com

أشعر بالزهد تجاه محاولة كتابة الأفكار التي سبق الحديث عنها؛ احتراماً لوقت القارئ، واحتراماً لفضاء الكلمة، وتأكيداً على المحاولة المستمرة لتجديد وتنوع الأفكار..

وقد سبق الحديث عن مدلول الإسلام في مناسبات عدة، وكذلك الحديث عن العلمانية وخطورتها كمقال: (خطورة الفكر العلماني على بعث الإسلام من جديد، والكاهن والعلماني... إلخ) وفي هذا المقال – بإذن الله – سأتحدث عن نمط الحياة بالنسبة للإسلام كوحدة كُلية ومكون واحد متكامل، وعن العلمانية كوحدة كلية ومكون واحد.. محاولاً إيضاح الفرق بينهما، وكذلك الإشارة إلى "نقطة التحول الكارثية" والفارقة عند محاولة الجمع بينهما !!

الإسلام ونمط الحياة

الإسلام منهج حياة متكامل.. لا يحتاج معه أي إضافات من فلسفات وأفكار وضعية أو بشرية أو غيرها، بل جاء النص القرآني واضحاً باكتمال الدين، وإتمام النعمة.. ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [المائدة : 3] اكتمال الدين في: العقيدة والتصور، والعبادة والشعائر، والحكم ونظم الحياة السياسية والمالية "الاقتصادية" والاجتماعية والفكرية... إلخ، فمن يدخل في هذا الدين، ويؤمن به.. فإنه يلزمه – تباعاً – الإيمان بكل مفرداته وتصوراته بالجملة وعلى الغيب؛ لأنه ابتداء إيمان بالله سبحانه.

وإن أي محاولة لتفتيت الدين، والإيمان ببعضه والكفر ببعضه، والتفرق في الدين كلها محاولات تذهب بالدين، وتُضيع وجوده، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام : 159] فجاء النهي عن التفتيت والتفرق أشد ما يكون.. لأن هذا التفرق في الدين بغيٌ وظلمٌ، يُنشئ – ولا بد – الحقد والحسد والبغضاء التي تحلق الدين.. كما جاء في الحديث الشريف: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ.. لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ". [جامع الترمذي/ 2446] وعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ، لَا حَالِقَةُ الشَّعَرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ، إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ". [مسند الإمام أحمد/ 1358]

ولأن هذا الدين سيُخرج المجتمع المسلم.. ويعيش فيه، كانت طبيعة الدين، هي ذاتها طبيعة المجتمع المسلم الذي أهم شروطه أن يكون بنيان مرصوص، وجسد واحد يشد بعضه بعضاً.. ولِعظم هذا الأمر؛ جاء نفي الإيمان والإسلام عن الذي لا يهتم بأمور المسلمين، وعن الذي لا يعبأ بحال إخوانه من المؤمنين ! ليظل المجتمع محافظاً على وحدته وتكامله، ويظل الإسلام كذلك محافظاً على وحدته وتكامله.. فيحدث التوافق الحضاري بين المجتمع والرسالة، والانطلاق بها إلى كل العالمين، في قوة ومتانة ومرونة وتكامل لا يمكن أن تكون لمجتمع إلا المجتمع المسلم !

ومحاولة تفكيك الوحدة الكلية لهذا الدين.. هي كمن يحاول بتر جزء من جسد الإنسان، وينتظر من هذا الجزء أن يعمل منفرداً!! وإهدار أي جزء من هذا الدين لا سيما في الحكم ونظم الحياة.. ستَحل – ولابد – مكانه المذاهب الوضعية وتكون "شريكة" لهذا الدين! ومتى تلوث الإسلام بشِرك؛ تعطل عمله، وغاب عن الوجود والشهود.. إلى أن يتطهر من هذا الشرك. لهذا جاء التعبير القرآني مُبيناً أن الشرك يساوي حُبوط العمل كله، أي: فساد الصالح والطالح منه! ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: 88]

ولأن طبيعة الحياة تأبى الفراغ، وتأبى السكون.. فهي دوماً ممتلئة ومندفعة إلى الأمام، فحينما يتعطل جزء من الإسلام، أو يتم تفتيته وتجزئته، تحل مكانه أفكار وضعية – مهما بلغ بريقها وهوى البشرية إليها – فهي مرفوضة ابتداء، ويحكم عليها الإسلام بكلمة واحدة "أهواء البشر" بينما هو "منهج إلهي" لا يقبل له شريكاً من أفكار وفلسفات من صنع البشر.. بل جعل الإسلام هذا الفعل – أي: اتباع مناهج بشرية وضعية – شِرك يُخرج صاحبه من هذا الدين، ولمَ لا؟ فإن هذا الشرك يُحبط ويعطل باقي ما تبقى له من إسلام.

والناظر بعين التكامل لهذا الدين، ونظمه.. يلحظ دقة بالغة، تتناسب مع أوامره ونواهيه.. ويلحظ النقاط المفصلية والفارقة فيه، وتجد عندها الوعد والوعيد، والتهديد والترغيب، ذلك أن الخروج عنها يهدم ما تبقى من الدين.

وهو دين يأبى السكون.. كيف وهو رسالة الله الأخيرة لكل العالمين؟! ولهذا كانت تنشئته للمسلم أن يأبى السكون، فهو مندفع للأمام دوماً، ومتوافق ومتناغم مع حركة الحياة.. فيكون الدين والإنسان والحياة في طبيعة واحدة متناسقة ومتوافقة ترتقي بالحياة، وتُعمرها؛ وبها يحقق الإنسان الخلافة الراشدة، وعمارة الأرض وفق منهج الله، ولهذا قال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[الأنبياء: 107] ولقد تذوقت البشرية كلها تلك الرحمة وقت أن كان هذا الدين خالصاً لله وحده بلا شريك، ووقت أن كان المجتمع الذي يحمل هذا الدين خالصاً لله وحده بلا شريك.. فلا تفرق في الدين، ولا شقاق في المجتمع.. وحدة واحدة من هوية وصبغة واحدة: ﴿ صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾ [البقرة : 138]

تَعرض هذا الدين لمحاولات هدم كثيرة على مدار التاريخ كان – ولا زال – أشرسها هي "الحملات الصليبية" المستمرة على العالم الإسلامي؛ التي كان الغرض الأساسي منها: هي إزالة هذا الدين من الوجود، وتحويل المسلمين إلى النصرانية أو إلى أي ديانة غير هذا الدين.. الذي يتحدى وجودهم، ويرفض عُلوهم، ويحارب طغيانهم، ويمنع فسادهم.. ولأن نور الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يطفأه أحد، بقي هذا الدين، وسيبقى – بإذن الله – إلى يوم القيامة.

فلما يئِس النصارى من إزالته، حاولوا تفكيكه وتفتيته وعزله عن بعضه، في الحملات الصليبية الأولى حاول اليهود والنصارى بث الشبهات والإسرائيليات ونشر الفتن والدسائس، وزرع الشقاق والنفاق بين المسلمين، والطعن في الدين بكل وسيلة.. وتصدى لهذه الهجمات العلماء الربانيون القائمون والممسكون بالكتاب، محافظون على وحدته؛ مُبلغون كامل رسالته..

في الحملات الصليبية التالية – بعد الثورة الفرنسية – بدل النصارى دينهم، أو يمكن القول أنه التطور الطبيعي للنصرانية؛ فاعتنقوا العلمانية كمنهج بديل للحياة، لأسباب يصعب الحديث عنها هنا تفصيلاً،

ولكن يكفي الإشارة إلى أن النصرانية ديانة بلا شريعة، الأمر الذي جعل التشريع ونظم الحياة بأيدي الكهنة الذين أذاقوا شعوبهم الذل والاستبداد والهوان باسم الدين. فجاءت العلمانية كبديل عن دينهم هذا، وجاءت كوحدة كلية ترفض أي حديث باسم الدين.

جاءت الحملات الصليبية بهذا الدين "العلمانية" محاولة غرسه في بلاد المسلمين من كل طريق.. وأخطر ما تم لهم هو "تنحية الشريعة" عن نظم الحكم والحياة، واستبدلها بالعلمانية التي سمحت ببقاء الإسلام كشعائر وطقوس واحتفالات ومناسبات ! وكان ذلك أخطر ما تعرض له العالم الإسلامي طوال تاريخه.. إذ - ومن الناحية القدرية - دخلنا مرحلة "الحكم الجبري" فلا سيادة للشرع، ولا سلطة للأمة.. والأمة تحت ذل المحتل !

ففقدت الأمة لذلك: هويتها وكرامتها ورسالتها وشريعتها ودخلت في التيه البعيد.. البعيد جداً، وجربت كل شيء، وفشلت في كل شيء؛ لأنها لم تخرج من هذا التيه ابتداء !

ثم اكتملت الحملات الصليبية بـ "العولمة" أي: التعميم العالمي للعلمانية ونمط حياتها، وهيمنة الثقافة العلمانية، وطريقة الحياة كلها.. حتى المأكل والملبس والمشرب، وأصبح كل إنسان هو مجرد هدف للاستهلاك والإنفاق !

❊ ❊ ❊

العلمانية ونمط الحياة

العلمانية: هي أن يعبد الإنسان هواه كما قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان : 43] وهي تعتبر أقصى درجات الإلحاد، لأن الإنسان فيها لا يشغل باله بوجود إله من عدمه.. ولا يترتب – بالنسبة له – على وجوده شيء، فهو قرر أن يتخذ نفسه إلهاً يشرع لنفسه كما يشاء، ويعيش كما يشاء.. وبذلك أصبحت العلمانية "دين" وكل ما يأخذ شكل "منهج الحياة" يصبح من فوره ديناً حتى ولو لم يسميه أصحابه بذلك. وتكون العلمانية كذلك مكون واحد.. وحدة واحدة لا تقبل التجزئة !

فهي لها تصوراتها عن تفسير الوجود، والإنسان، والحياة، ولها نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية، ولها فلسفتها وغايتها من الحياة. والعلمانية ليست – كما يظن البعض – خاصة بمذهب سياسي أو اقتصادي ليبرالي فحسب، فالشيوعية والاشتراكية والفاشية والنازية والقومية والرأسمالية... إلخ من المذاهب الوضعية كلها "علمانية" بغض النظر على "هوى البشر" فيها، ففي النهاية كلها أهواء البشر مهما اختلفت مسمياتها. وقد سبق الحديث عن هذه المذاهب في بحث (الدين والسياسة.. تحليل المشهد) لمن يريد الاطلاع.

ولكن هناك ميزة هامة جداً للعلمانية نغفل كثيراً عند الحديث عنها، وهي "النقاء" إن النصارى لما بدلوا دينهم إلى العلمانية.. قد خرجوا من النصرانية بالكلية، وجعلوا يوم خروجهم منها عيداً، وطلقوها إلى غير رجعة، وسموا يومها "يوم الحرية" واعتنقوا العلمانية (هوية متكاملة نقية) لا تشوبها شائبة، ولا شريك لها من نصرانية أو غيرها من أديان..

فجاءت الميزة الثانية وهي رديفة النقاء.. "التجانس" فجاءت نظم الحياة كلها على نسق واحد، وهدف واحد "متاع الحياة الدنيا" فجاء النظام التربوي والثقافي، متناغماً مع النظام السياسي والاقتصادي، معبراً عن أدوات التأثير والتوجيه والإعلام، متداخلاً مع النظام التعليمي والفكري، فجاء شكل الحياة العلمانية على درجة من النقاء والتناسق والتجانس؛ فأخرجت إنساناً مُعبراً عن تلك العلمانية متسقاً مع نفسه، مُعبراً عن ذاته، متوافقاً مع الآخرين.. لا يشعر تجاههم بالتنافر والتباعد والتحاسد والتباغض.. فكانوا كما جاء التعبير القرآني "أولياء" بعض!

والآن نأخذ مثالاً وهو "علاقة الرجل والمرأة" ونقارنه بين نمط الحياة في الإسلام وفي العلمانية.. والنقطة الكارثية في محاولة الجمع بينهما.

الرجل والمرأة في الإسلام

نقول باختصار – إذ هو حديث طويل – أن الرجل والمرأة في الإسلام تجمعها أولاً: الأخوة في العقيدة، وهي أقوى رابط، ثم تجمعهما: أخوة الدم، وأخيراً: أخوة الإنسانية.. وضبط العلاقة بينهما بصورة دقيقة جداً، لأنهما أصل الحياة التي يقوم عليها المجتمع المسلم، الذي يحمل هذا الدين، فالمرأة بالنسبة للرجل إما زوجة أو ذات المحارم أو أخت في العقيدة.. وجعل التقاء الرجل بالمرأة هو صورة واحدة هي "الزواج" فلا صداقات، ولا سفاح، ولا علاقات مفتوحة، أو التي حرمها الإسلام.. ثم أباح التعدد لأسباب خاصة بالمجتمع المسلم لا مجال لذكرها هنا.

هذه التصور الإسلامي عن العلاقة بين الرجل والمرأة لم يكن مجرد تصور "فلسفي نظري" أو مجرد فكرة، بل هو منهج حياة.. بمعنى: أن الإسلام عندما يُقر شكل هذه العلاقة، فإنه يؤسس نظم الحياة والمجتمع لتعمل تلك الفكرة بسلاسة ويسر، وتكون سهلة التطبيق والعمل.. فيُيسر كل سبل الزواج، ويمنع كل سبل الحرام وفق منهجه، فيأتي نظامه "المالي" و"السياسي" خادماً لهذا التصور عن العلاقة بين الرجل والمرأة والزواج؛ فيحقق عدالة توزيع الثروة، وفرص العمل، ورفع الهمم، والاهتمام بمعالي الأمور.. ويأتي نظامه التعليمي والتربوي والثقافي خادماً أيضاً لهذا التصور؛ في رفع معاني الخشية من الله، والرقابة الذاتية، وتحبيب الإيمان في القلوب، وتكريه الكفر والفسوق والعصيان، والتنشئة القيادية، والشخصية المتزنة، ويأتي نظامه في الأحكام والتشريعات يؤمن البيت والمجتمع؛ في منع أي مظاهر للفتنة سواء في الملبس أو المظهر أو في المواد الإعلامية المقروءة أو المسموعة أو المرئية، وفي أحكام الزواج، والطلاق، والميراث، والعدة، والنفقة...إلخ، ويأتي نظامه الاجتماعي مُعبراً عن كل ذلك، وفي المساواة في الإنسانية والكرامة، والتكافل الاجتماعي، وفي التأخي والحب والألفة والمودة... إلخ.

ثم تأتي المنظومة الأمنية والجهادية بكافة أنواعها وتخصصاتها.. لتحمي تلك الهوية، والرسالة، والمجتمع والأمة.. وتحفظ أمنها ومؤسساتها.

فتكون – العلاقة بين الرجل والمرأة، وكذلك أي فكرة أخرى – تعمل داخل منظومة كلية ومتكاملة يخدم بعضها بعضاً، وتعمل في تناسق وتناغم وتكامل، مُعبرة عن هوية وغاية ورسالة، ومُعبرة في كل تصوراتها – مهما بلغ حجم الفكرة – عن الله والإنسان والكون والحياة، وكل خصائص التصور الإسلامي، فتكون هي الصورة الفريدة التي أرادها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لهذا الدين، الذي ارتضاه ليكون هو الرسالة الأخيرة. وهذه هي الصورة التي بها سعادة الدنيا، وفوز الآخرة: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طه: 123] ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : 148]

***

الرجل والمرأة في العلمانية

لما قرر أن يتخذ الإنسان الذي دان للعلمانية إلهه هواه، كان من الطبيعي أن يُزيل كل العقبات أمام أقوى رغبات الإنسان وهي "الجنس" إن العلاقة بين الرجل والمرأة في العلمانية تتلخص في "الجنس" وكيفية إشباع تلك الرغبة حتى تحول – في مجتمعاتهم – لأقوى وأروج تجارة على الإطلاق.

لا حدود.. لا يوجد أي حدود للعلاقة بين الرجل والمرأة في الجنس، كل شيء مباح، إباحية كاملة تامة، شيء أشبه بحظيرة الحيوانات، بل إن الحيوانات لتتعفف عن الشذوذ، الذي هو من أحد أهم حقوق الإنسان ! لديهم.

وإن الذي يكتب هذه الكلمات، لا يكتبها حقداً عليهم، ولا يكتبها عن جهالة بحالهم، فلقد عشت فترة ليست بالقصيرة في المجتمعات الغربية الفقيرة منها والغنية.. تؤهلني – إن شاء الله – للحديث عنها كما رأيتها !

هذه الإباحية الكاملة كفلسفة تُعبر عن العلاقة بين الرجل والمرأة ليست مجرد فكرة نظرية فحسب، بل هي منهج حياة.. بمعنى أنه عندما يؤمن المجتمع العلماني أن هذا هو شكل العلاقة؛ تجد النظام التعليمي والتربوي والثقافي لديهم يخدم هذا الجانب؛ ويعلم الصبي والفتاة كيف يمارسا علاقة جنسية صحيحة بدون حمل، ويأتي النظام السياسي والاقتصادي لديهم يعزز فكرة الاستقلال عن الأسرة، وتركها، ويأتي النظام القانوني والتشريعي يخدم تلك العلاقة، ولا يجعلها – مثلاً – جريمة، ويبحث كيف يحدد حقوق أبناء الزنا، لدرجة أن الفتاة التي تَحمل من أصدقائها ولا تعرف من أب هذا الطفل – أو لا يريد الاعتراف به – فإن القانون يسمح لها أن تسمي الطفل باسم أبيها !! لا مشكلة في أي شيء.. كل الطرق ممهدة ومفتوحة، ولا يوجد أي عقبات ! فيكون النظام الاجتماعي وحدة واحدة تُعبر عن كل ذلك.. معبرة عن:

﴿ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ [القيامة : 5]

ونجد كذلك التجانس والتناسق والتوافق والتكامل بين هويتهم ونظم حياتهم كلها. وتجد أن الشاب أو الفتاة التي مازالت عذراء أو ليس لها صديق تعتبر – في نظرهم – "مريضة" نفسية تحتاج إلى علاج ودعم !

وتجد "محلات" الجنس التي تبيع لحوم النساء وتُأجرها بالساعة – لمن فشل في اقتناص فتيات العمل والجيران والمدرسة – في أقصى صورة لامتهان الإنسان. بل وصلت بهم المساواة! أن يأجروا الرجل أيضاً لمن ترغب من النساء !

ثم تأتي المنظومة الأمنية والعسكرية لتحمي هذه الهوية، والمجتمع.. وتحفظ نظمه ومؤسساته.

ولا نجد من يقول – في هذا المجتمع العلماني – هذا عيب، وهذا غير أخلاقي ! لأنه بذلك يناقض ويُفسد التجانس المجتمعي والفلسفي ونظم الحياة، فيُسقط هذه المسميات من قاموسه " عيب – حرام – زنا –... إلخ" لأنها تعبيرات تناقض العلمانية، بل إنهم يرفضون حتى الحديث الفطري عن "الأخلاق"

ويعتبرون من يتحدث عن ذلك يناقض القيم الغربية العظيمة! ويريد أن يرجع بهم إلى عهود الظلام، والرجعية والتخلف، ويريد أن يستبد بهم، ويريد أن يفرض رأيه، وأنه وحده صاحب الحق المطلق... إلخ.

فنجد هذه الصورة.. حالة من الإباحية الكاملة، وعلاقات أدنى من درك الحيوان، وكذلك حالة من التجانس والتوافق والتناسق والتكامل، وهذه الصورة من التناسق صورة محببة للنفس، لأن النفس تكون في حالة "متسقة" بلا نتوءات، "صادقة" بلا تناقضات.. ذات هوية واضحة، ومعالم بارزة، تقول: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: 29]

ويقول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لهم: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ. أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: 15، 16]

***

مما سبق نجد منهجين واضحين، لكلٍ منهما تصوراته، وطريقه.. وكل منها يُنشأ "**نمط الحياة**" وأسلوبها بما يخدم التصورات والمنهج والرؤية والهوية والرسالة التي يريد أن يحققها كل منهما.

التصور الإسلامي و"نمط حياته" غاب عن الوجود بفعل: عوامل الهزيمة داخل الأمة، والشرك الواقع في دينها، والحملات الصليبية الأخيرة عليها.. وما جاءت به من مناهج علمانية؛ تحارب مناهج الدين، وجهل الأمة بطبيعة هذا الدين وكيف يعمل... إلخ.

التصور العلماني و"نمط حياته" وصل إلى درجة "العولمة" والتعميم على كل البشرية، تحميه أقوى الأسلحة على وجه الأرض وفي التاريخ البشري، ويُنميه منظومة اقتصادية تجمع وتسرق كل ثروات الأرض، ويُعولمه منظومة إعلامية لها أذرع في كل مكان، ويرفع شأنه عقول علمية منظمة ودقيقة ومبدعة... إلخ مُعبرة عن كل متاع الحياة الدنيا، جعلت من الغرب جنة الأرض !

ينظر الإسلام نظرة احتقار لكل متاع الحياة الدنيا، بل الدنيا كلها لا تساوي – عند الله – جناح بعوضة، بل يتوعد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الكافرين، بأنهم لو جاءوا بملء الأرض ذهباً؛ ليفتدوا به كفرهم وعذابهم في الآخرة ما تُقبل منهم.. ! ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [آل عمران : 91] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : 36]

والبديهي بالنسبة للإسلام، وللمسلم كذلك.. أن يرجع إلى هذا الدين كاملاً، وأن يُحكم شرعه، ويحمل رسالته.. ويصد – كما جاهد من قبل – كل الحملات الصليبية على دينه وعلى ثروته وأرضه.. والله ناصر دينه، ومُمكن له في الأرض.. للفئة التي تحمله خالصاً لوجهه، وبلا تفرق فيه.

***

النقطة الكارثية والجريمة الكبرى

النقطة الكارثية والجريمة الكبرى في حق الشعوب المقهورة المسلمة هي: أي محاولة.. أي محاولة للجمع بين منهج الإسلام ومنهج العلمانية.. هي محاولة مستحيلة مستحيلة مستحيلة، لن يستطعها أحد ولو كان الإنس والجن بعضهم لبعض ظهيراً !

ولكن – وللأسف – حاولها الكثيرون فغرقنا في التيه، والضلال البعيد.. الذي هو مراد الشيطان: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ [النساء : 60] فالشيطان لا يريد لنا الضلال فحسب أو الانحراف القليل عن الصراط المستقيم.. إنه يريد الضلال "البعيد" حتى إذا أفقنا أو جاءت البشرى أو النذير.. عجزنا أو تكاسلنا ونحن في هذا "البعيد" أن نرجع إلى الصراط المستقيم.

ولنأخذ علاقة الرجل والمرأة في هذه "النقطة الكارثية والجريمة الكبرى"

أول ملمح لهذه العلاقة، ولنمط الحياة عموماً هو: المسخ، وفقدان الهوية، والتناقض، والتصارع، والتحاسد، والتباغض، والغل.

العلاقة تنشأ من بيئة صراع: تفوق الرجل، وحقوق المرأة.. جاهلية شرقية، وعلمانية غربية، تُنشأ حالة من التناقض التربوي والتعليمي والثقافي: البيت يُربي على العيب والحرام ونظرة الناس، والمدرسة تُربي على الاختلاط، والجامعة تُربي على الفجور.. ليس الفجور الأخلاقي فحسب، بل فجور الفكر والتصور، فكل حديث عن علم النفس، والاجتماع، وتفسير الإنسان والوجود مأخوذ عن العلمانية ! ثم يأتي النظام السياسي والاقتصادي، ليقهر الإنسان، ويكبت طاقاته ويحصرها ويُشعلها في "الجنس" ويأتي النظام الاقتصادي، ليُقعده عن أي محاولة لممارسة هذا "الجنس" فالحلال "الزواج" أقرب إلى المستحيل، و"الحرام" يصعب الوصول إليه، ومُكلف له.. وهو لا يملك شيء، ولا يوجد فرصة لعمل، وهو في النهاية عبد لنظرة الناس، ويأتي النظام القانوني والتشريعي خليط متناقض يعبر عن هذا المسخ ! فينشأ عن هذا التصور أكبر نسبة عنوسة في العالم أجمع وربما في تاريخ البشرية!! وجرائم التحرش والاغتصاب، والدعارة الغير مقننة..

التي لا يرفضها المجتمع، ولا ينشرها! حالة مُعلقة ! فتأتي العلاقة في صور متعددة غريبة ! هذه صداقة بريئة، وهذا حب عنيف، وهذا علاقة جنسية غير مكتملة، وهذا علاقة جنسية كاملة، وهذا زواج عرفي...إلخ ثم تأتي السينما والفن ليُلهب مشاعر الجنس، ويشعلها ويحبب للناس الفسق والفجور وممارسة الرذيلة ويجعلها ضرورة حياتية فرضها الواقع، ويهبط بالذوق الإنساني والأخلاقي إلى أسفل سافلين! والمسجد يُوعد الناس بالآخرة، ويهمل الحديث عن الدنيا!

ثم تأتي المنظومة الأمنية والعسكرية مجموعة من المرتزقة؛ لا تجد هوية تحميها، ولا رسالة تحملها.. فتحمي مصالحها الشخصية، وتبيع – كل شيء، حتى الأوطان – لمن يدفع أكثر، وتستأسد على شعوبها، وتركع تحت حذاء المحتل !

وفي النهاية النظام الاجتماعي صورة لحالة من الهوية الممسوخة، والكرامة الضائعة، والإنسانية المهدرة.. حالة من التذبذب، والتأكل الذاتي.. لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء.. لا إلى الإسلام؛ فنفوز بمتاع الدنيا، ونعيم الأخرة. ولا إلى العلمانية؛ فنفوز بمتاع الدنيا.

أوضح صورة للتعبير عن هذا المسخ، وفقدان الهوية هي تلك الفتاة "المحجبة" ! التي تغطي شعرها، وتبرز كل مفاتن جسدها حتى عورتها المغلظة !! هذه هي نتيجة محاولة الجمع بين منهج الإسلام ومنهج العلمانية.. فلا هي أدركت الإسلام وفازت به، ولا هي أدركت العلمانية وتمتعت بها.. أكبر وأحط وأخطر جريمة تُرتكب في حق هذه الأمة.

ولهذا نجد ملامح تلك الشخصية الممسوخة الهوية.. مؤسفة، فهي تعبر عن حالة من الاضطراب والتأكل الذاتي، والنتوءات، والتشوهات النفسية، والسلوكية، والفكرية، ولهذا عندما يسافر الإنسان إلى الغرب، ويجد نمط الحياة العلمانية في صورته المتناغمة والمتناسقة والمتكاملة، وفي الاتساق النفسي والسلوكي للأفراد هناك، يُفتتن ويقارن بين حالة الهوية الممسوخة والهوية العلمانية، فيجد معاملة الإنسان هناك أفضل وأيسر ! فيظن أن حل مشكلاتنا تكمن في جرعة أكبر من العلمانية !!

❊ ❊ ❊

التحول نحو الإسلام ونمط حياته [الهوية والكرامة والاستعلاء بالإيمان]

عندما يحاول هذا المجرم الجمع بين منهج الإسلام ومنهج العلمانية؛ فتحدث حالة "التأكل الذاتي" و"فقدان الاستعلاء بالمنهج" يفقد الإنسان هويته.. ومعها كرامته؛ ويصبح مقلداً تابعاً، لا يشعر بذاته، ولا رسالته، ولا قيمته، ولا هدفه.. نجد هذه الصورة بازرة في فعل بني إسرائيل مع نبي الله موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقالوا له:

﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف : 129]

﴿ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف : 138]

﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [البقرة : 51]

وهذا أمر عجيب، فنبيهم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أولي العزم من الرسل، وهو كليم الله: ﴿ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ [النساء : 164] وقال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فيه: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه : 39] و﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه : 41] وأعطاه الله التوراة، وفيها هدى ونور... إلخ. فلماذا لم ير بنو إسرائيل كل هذا في نبيهم الكريم ؟!

هنا حديث الهوية، والكرامة، والاستعلاء بالإيمان !

ولهذا جاء الإسلام يؤكد على معاني الهوية، والكرامة، والاستعلاء بالإيمان، بل وخص الأمة المسلمة !

﴿ صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾ [البقرة : 138]

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ [النساء : 125]

﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : 139]

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد : 35]

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [البقرة : 143]

كلها تأكيد على معاني الهوية، والاستعلاء بالإيمان.. الضرورية لإقامة الدين، وتحكيم شرع الله، وحمل رسالته، فبدونها يدخل الاضطراب والشك، وفي النهاية التيه والقعود؛ والاستبداد والاحتلال.

ولهذا عندما نرفض الديمقراطية – مثلاً – فإن أحد أسباب الرفض هو مسألة الهوية والكرامة والاستعلاء.. فالذي يدعو إلى "الفكر الديمقراطي" إنسان لم يستشعر ولم يتذوق بعد عظمة هذا الدين، ولم يعرف بعد طبيعته. إنه يدعو إلى "الفكر الديمقراطي" بآلياته أو بفلسفته وآلياته، ظناً منه أنه سيهرب من "الاستبداد" ! ولا يدرك أن "الفكر الديمقراطي" يؤدي حتماً إلى الاستبداد، ولكن بطريقة أكثر هدوءاً ونعومة.

إنه لا يرى البديل وهو: "الشورى" وهي أحكم وسيلة لمنع الاستبداد، وأجدر طريقة لرفع حيوية الأمة، وسيلة متفردة من تصور إسلامي: رباني، شامل، متوازن، إيجابي، واقعي، مثالي. ولكن – للأسف – حالة "الجمود الفقهي" منذ القرن التاسع الهجري، والجرائم الفكرية التي تُرتكب باسم "العلم الشرعي!" جعلت الناس تنظر بمزيد من الزهد إلى قدرة الإسلام على القيادة والحكم..!

هذه الهزيمة النفسية أخطر هزيمة، لأنها تُخرجنا من هويتنا ورسالتنا. وتجعلنا ننظر نظرة المهزوم إلى المنتصر؛ فنروح نقلده في بلاهة، والمقلد دوماً لن يخرج من سجن "سيده" !!

فالهوية: هي الإسلام، والشورى: هي النظام.

والكرامة: أننا نحن الأمة الشاهدة والمُعلمة؛ والتي لها وعليها أن تخرج البشرية من مستنقعات التيه ووحل الظلام.

والاستعلاء: أن منهج الإسلام هو الأعلى، ويَعلو ولا يُعلى عليه.

وإن الانطلاق من:

- **قاعدة الهوية النقية الخالصة الإسلامية؛**
- **وفض أي محاولات الالتقاء بين الإسلام والعلمانية؛**
- **وعدم التفرق في الدين بغياً وظلماً؛**
- **ونشأة المجتمع وفق هوية خالصة؛**

هو نقطة التحول الكبرى في مسيرة الإسلام نحو الخلافة الراشدة، وعودته ليحكم ويسود من جديد.

❋ ❋ ❋

روابط ذات صلة:

❋ بحث: خطورة الفكر العلماني على بعث الإسلام من جديد.

❋ مقال: الكاهن والعلماني.

❋ بحث: الدين والسياسة.. تحليل المشهد.

❋ مقال: الديمقراطية والهوية.

❋ مقال: نقطة التحول.